عبد الله كُنون: الآخر والحوار الديني (جهود وفكر)

Abdullah Gannoun: The Other and Interfaith Dialogue (Efforts and Thought)

المنكالي كريم | جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، المغرب

akrambasma853@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/10/16 تاريخ القبول: 2024/11/25 تاريخ النشر: 2024/12/29

الملخص:

لطالما يُحسُّ الإنسان منذ صِغره بميلٍ نحو التّعرّف على المختلِفين عنه، خصوصًا إذا كان الاختلاف اختلافا دينيًّا، وهكذا نجد مَن يسكُن ويتجوّل مدينة بها العديد من المعالِم التي تخصّ ديانات مختلِفة كالكنائس والمعابِد والمقابر والمتاحف وغيرها، تدور في خَلَدِهِ تساؤلاتٌ بعد التيقُّن من أنَّ تلكَ المعالم ترجع إلى عهد ما قبل الاستقلال، والذي كان فيه المغرب، وتحديدًا مدينة «طنجة» تعُجّ بجالِيات أوروبية متعدِّدة الأديان والمذاهب، كيف كان يعيش المغاربَة المسلمون مع هذا التّنوّع؟ وما هو موقفهم ممّن يُخالفهم في الدّين؟ وكيف تعامل أهل العلم مع هذا الواقع؟

تلك التّساؤلات وذلك الميل جعلني أبحث في تاريخ المدينة، انطلاقًا من سيرة علمائِها الكرام، فإذا بي أجدُ نفسي بين صفحات كتاب تعجّبت لمّا وَقَفت عليه، والتعجّب هنا ليس لما تضمَّنه الكتاب فقط، وإنّما لشخصِ كاتِبِه، فالمعروف أنّه من علماء المغرب الأفاضل، الذين اشتهروا بالأدب والفقه، فكانوا قامَةً عِلميَّةً تعتزُّ بها مدينة طَنجة، إنّه أستاذ الأجيال عبد الله كُنون -رحمه الله-، والذي تَناولتْ حياتَه وفكرَه العديد من الدّراسات، لكنّها غالبًا ما اهتمَّتْ وتهتمّ بمجال الأدب والفقه، مغفلةً جانبًا آخر، بدوره كان له أهميّة كبرى في حياة عبد الله كُنون، وهو ما ستحاول هاتِهِ الورقات بيانه وإيضاحه، ذلك الجانب يرتبط بقضيّة الآخر والحوار الدّيني في فكر عبد الله كنون.

الكلمات المفتاحية: الآخر، الحوار، الجدل، التسامح، عبد الله كنون، طنجة.

The Other and Interfaith Dialogue: (Efforts and Thought)

Abstract:

Since childhood, a person often feels a natural inclination to learn about those who are different from them, especially when the difference is religious. Thus, one may find themselves living in or visiting a city that contains various landmarks related to different religions, such as churches, temples, cemeteries, museums, and so on. Upon noticing these landmarks, questions arise in the mind, especially after realizing that these sites date back to the pre-independence period, when Morocco, and specifically the city of Tangier, was bustling with European communities of diverse religions and sects. How did Moroccan Muslims live alongside this diversity? What was their stance toward those who differed from them in religion? How did scholars approach this reality?

These questions and this curiosity led me to explore the history of the city, starting with the biography of its esteemed scholars. I found myself immersed in the pages of a book that surprised me when I came across it. The surprise here is not just due to the contents of the book, but also because of its author. It is well-known that the author was one of the esteemed scholars of Morocco, famous for his literary and jurisprudential contributions. He was a towering intellectual figure that the city of Tangier takes pride in. The author in question is the great scholar of generations, Abdullah Kenan (may Allah have mercy on him), whose life and thoughts have been the subject of many studies, mostly focused on literature and jurisprudence. However, these studies often overlook another important aspect of his life that was of great significance to Abdullah Kenan, which this paper aims to clarify. This aspect is related to the issue of the "Other" and religious dialogue in the thought of Abdullah Kenan.

Keywords: the Other, dialogue, debate, tolerance, Abdullah Kenan, Tangier.

1. مقدمة:

إنّ المطّلع على كتابات الأستاذ عبد الله كُنون -رحمه الله-، يجدُ أنَّ تناولَها لقضايا تتعلّق بالآخر والحوار الدّيني والفكري حاضر فيها بشكل كبير، ولذلك فلو قيل: إنَّ الشّيخ عبد الله كُنون بعد كونه أديبًا وفقيهًا، فهو محاوِرٌ ومجَادِلٌ لا ينازعه في ذلك أحد، وهذا ما يتأكّد بالعودة إلى ما ألّفه من مؤلّفات أو ما خطَّه في المجلّات أو غير ذلك، والتي إنْ شِئْنا تصنيف مضمونها وارتباطها بموضوع الآخر والحوار لجعلناها على وجهين، الوجه الأوّل : يتعلّق بموقفه من الآخر على المستوى الحضاريّ، الوجه الثّاني: يتعلّق بموقفه من الآخر على المستوى الدّيني.

الوجه الأول: عبد الله كُنون والآخر حضاريا

يُلاحَظ أنّ العلّامة عبد الله كُنون شخصيّة متفتّحَة على الآخر، يَعرفه عن قُرب، هاتِه المعرفة تتعدّد مَشاربها، والتي لن تكون إلا انطلاقًا من جَانبيْن، الأوّل: نظريّ فكريّ، الثّاني: عمليّ واقعيّ.

ففي الجانب الأوّل نرى أنّه يعترف لحضارة الآخَر بتفوّقها الماديّ العمرانيّ، ولا ينْسَى أنْ يَنْسِب لها الفَضْل، فمَثَلا يعترف للقارة الأوروبيّة بتقدّمها في ميدان العلوم، وبها ظَهَرت اتّجاهَات الفِكر الحديث في الفلسَفَة والأدَب[1]، ويَعترِف أيضًا بجُهد الآخرين في نقل علوم الفلسفَة والطّبيعة والرّياضيّات إلى المسلمين[2]، وفي نفس الوقت يذُمّ كلّ فكْرٍ أو مَقولَةٍ يخرج بها بعضُ الجَهَلة، أو غيرهم مِمَّن يُحسَبون على دين الإسلام، ويعارضون أيَّ تقدُّم تكنولوجيّ وعلميّ، ويدَّعون أنّ القرآن يمنعه ويحرّمه[3].

إنّ الاهتمام بحضارة الآخَر ومعرفَة سرَّ تقدّمِه في فكر العلّامة كُنون، أمرٌ يَشهدُ له ما صرّحَ به هو نفسه معترِفًا بأنّه قَرَأَ أحَد تلك الكُتب التي تتناول هذا الموضوع أكثر من مرّة، يقول: «... ومِن هاتِه الكُتب: (سرُّ تقدّم الإنجليز السّكسونيّين ترجمة: أحمد فتحي زغلول)، فإنّ هذا الكتاب بصّرني بكثيرٍ مِنَ الحقائق في تقدير الحضارة العصريّة بمقاديرها الحقيقيّة، وصِرْتُ أعرفُ قِيَم الثّقافات المعاصرة، وما تؤثّره في النّفس والسّلوك»[4].

هذا ولم يكن تفاعُل العلّامة كُنون في تعامله مع الآخر حضاريًّا مقتصرا على الجانب النّظري الفكريّ المحض، بلْ تعدَّاه إلى تفاعل عمليّ واقعيّ، وقَدْ سَاعده في ذلك تكوينُه العِلميّ، حيث أنّه -

(1) عبد الله كُنون، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، ص: 40.

(2) عبد الله كُنون، جولات في الفكر الإسلاميّ، ص: 40.

(3) عبد الله كُنون، الردّ القرآنيّ على كتيب: «هل يمكن الاعتقاد بالقرآن؟!»، ص: 41 وما بعدها، وراجع ما كتبه أيضا في نفس المرجع، ص: 124.

(4) عبد الله كُنون، واحة الفكر، ص: 187.

رحمهُ الله - كان حريصًا على تعلّم لغة الآخر حتّى يحاوِره ويخاطِبه، فَقَدْ كان عالمًا باللّغة الفرنسيّة متقِنًا للّغة الإسبانيّة، يَشهَدُ بذلك كلامُه: «كذلك الفرنسيّة التي أخذتُ في دراستها، أمّا الإسبانيّة فقد تعلّمتها من الشّارع، وأصبحت أتقنها فيما بعد»[1].

ومِنْ أمثلة ذلك التّفاعُل الحضاريّ العمليّ الواقعيّ نجد علَّامَتَنَا كثيرُ السَّفَر إلى الدُّول المتحضّرة والمتقدّمة، فَقَدْ سافَر إلى العديد من عواصم أوروبّا ومدنها، فمِثالًا وليس حَصْرًا سافر إلى: موسكو، مدريد، قرطبة، لنينجراد، بلغراد، مالقة، كما سافر شرقًا إلى ماليزيا والقاهرة، كلّ هاته السّفريّات يصف فيها التّقدّم الحضاريّ لمجتمعات تلك المدن[2].

إنَّ المثال السَّابق قد نَصِفُهُ بأنَّه تفاعُلٌ حضاريٌّ على المستوى الخارجيّ أي خارج الوطن، أمَّا على المستوى الدّاخليّ أي داخله، فقد تَنَاقش وتخاطب العلّامة كنون -رحمه الله- مع كثيرٍ من معتنِقي الدّيانة المسيحيّة من الجاليات الأوربيّة والأمريكيّة، ممن زاروا المغرب أو استوطنوه أيّام الحماية الفرنسيّة، كما حَرِص أنْ يَبْقى على تواصُلٍ مع الكثيرين، منهم إنجيليز وأمريكان وفرنسيون وإيطاليون وسويسريون وهولنديّون، من طبقات مختلفة بعضهم أَسلَمَ وبعضهم بقيَ على ديانتِه[3].

إنَّه يمكن أن نختِم الكلام ونختَصِرَ فِكْرَ العلّامة كُنون وعلاقته بالآخر حضاريًّا بما قرَّره في أحَدِ كُتبِه مِنْ أنَّ الإسلامَ لا يمنع التّفتّح على الأفكار النّافعة، يَأخذُ العلومَ والفُنونَ والصّنائع التّقنيّة الحديثة من كل الأمم السّابقة واللّاحقة، لكنّه لا يقبل التّطوّر في عقيدته وشريعتِه[4].

الوجه الثّاني: عبد الله كُنون والآخر دينيًّا

لم تكن قضيّة الآخَر والحوار الدّينيّ معه، في فكر العلامة الله كُنون -رحمه الله- مسألةً ثانويّة، بل هي من أهمّ ما كان يستَرعي انتباهَهُ وانشغالاتِه، وكمثال على ذلك الاهتمام يقول في مَعْرِضِ ذِكره لأقوال العلماء المتعلّقة بالمطالَعة في كُتُب المخالِفين لدِين الإسلام كالتّوراة: «... ورأي جواز مطالعتها وهو قول باطل ...، والاشتغال بالنّظر إليها وبكتابتها لا يجوز بالإجماع ...، وتوقّف الحافظ ابن حجر في الإجماع المذكور، وحَمَل النّهي لمن لم يكن من الرَّاسخين في الإيمان، لا سيما عند الاحتياج إلى الردّ على المخالِف»، ثمّ يُردِفُ بإبداءِ رأيه بقوله : «وهو الصّحيح»[5].

(1) عبد الله كُنون، المقالات الصّحافيّة، ص: 33، 34.

(2) سيتمّ التوسّع في ذلك أكثر عند الكلام عن قضيّة الحوار الدّيني والآخر في فكر عبد الله كُنون.

(3) راجع ما قيل هنا في: عبد الله كُنون، على درب الإسلام، ص: 9-23.

(4) عبد الله كُنون: إسلام رائد، ص: 92 وما بعدها، بتصرّف.

(5) عبد الله كُنون، فضيحة المبشّرين في احتاجهم بالقرآن المبين، ص: 54، 55.

وفي مثال ثانٍ نَجِدُ العلّامّة كْنون غيورًا على الإسلام، مدافعًا عنه في حِوَارِهِ مع الآخر الذي يخالِفُه دينًا مُعْلِنًا تحدّيهِ له، فيقول: «والذين تَحَدّوني شخصيًّا بإرسال كُتيّب (هل يمكن الاعتقاد بالقران؟) إليّ، إنْ كانوا يظنّون أنّي سأُلقِي باليدِ وأغضُّ الطَّرف عَنْ عَمَلِهِم الشّنيع فَقَدْ وَهِمُوا، وما مَهمّتي إذن إنْ كان كتابُ الإسلام الأوّل ودستُورُه الخالِد يُجرَّحُ بهذهِ الكيفيّة المشوّهَة، ويعرَض عليَّ هذا التّجريح وأنا ساكِت لا أقول كلمة تردُّ هجُومَ الخصوم وتبيّن تفاهَةَ أقوالِهم ...»[1].

وفي مثالٍ ثالث ليس بالأخير حيث يقول في مَعْرِضِ كَلامِهِ عن جُهودِ مَنْ سَبَقَهُ في الدّفاعِ عَنْ الإسلام مِمَّا يلحَقُهُ مِنْ نَقْدٍ وتشْنيعٍ من طرف المسيحيّين والمسْتشرقِين: «ونحن على نَهْجِهِم اللّاحبّ لا نزال نبيّن ما يحتاج إلى البيان ونَعْرِض للمشاكل التي تطرحُها الحضارة الغربيّة على مجتمعنا الإسلاميّ ...، فنقرّر نَظَر الإسلام فيها بما يُزيل كل شُبهة، ولا يبقى لغيره صلاحيّة»[2].

يتبيّن ممّا سَبَقَ أنّ العلّامة كْنون -رحمه الله- كان يُحسُّ بانجذابٍ كبير لمحاوَرَةِ الآخرين المختلِفين عنْهُ دينيًّا سواءً نظريًّا أو واقعيًّا، فنظريًّا عبْرَ الكتابة، وعمليًّا عبر محاوراته أو مناظراته[3]، هذا الانجذاب سينعكس وجودًا بتأليفه كتبًا، أو كتابتِه مقالاتٍ تسجّل له مواقف معهم، هاتِه المواقف وما جرى فيها تختلف باختلاف المخاطَب منهم، بحيث نجد أكثر ما يتوجّه إليه الخطاب الحواريّ للعلّامة كْنون هو المبشّر أو المستشرق أو المسيحيّ عمومًا، وعلى نفس الدّرَجة تقريبا الملحِد، وبدرجة أقلّ اليهوديّ، وهذا التّرتيب المتفاوت إنّما هو صورة انعكاسيّة للراهنيّة والزّمانيّة، فالمغرب وخصوصا مدينة طنجة في تلك الفترة شهدت استقبال العديد من المسيحيّين من مختلف الجاليات الأوروبيّة، والتي كان برفقتها رُهبان، بعضهم كان يمارس التّبشير، حتّى إن كْنونا -رحمه الله- يصرّح بعددهم في إحدى المناسبات، فيقول: «إنّ في طنجة مثلًا أكثر من عَشْر كنائس مسيحيّة، وهي مدينة صغيرة لا تحتوي على أكثر من عشْرة آلاف مسيحيّ »[4].

وقبل أن نتعرّض لملامِح الفكر الكْنوني في مسائل الحوار الدّينيّ، وجب التّلميح إلى أنّه يستحسن تقسيم عمليّة العَرْض إلى قسمين، قسم أوّل يمكن أن يُعَنْوَن بالآخر والحوار الدّيني في فكر عبد الله كْنون، وقسْمٌ ثانٍ يتبَعُه مُعَنْوَن بالآخر والجِدال الدّينيّ في فكر عبد الله كْنون.

(1) الردّ القرآنيّ على كتيّب «هل يمكم الاعتقاد بالقرآن؟»، مرجع سابق، ص: 9، 10.

(2) جولات في الفكر الإسلاميّ، مرجع سابق، ص: 6، 7.

(3) لقد حاجَجَ العلّامة كْنون -رحمه الله- الكثير من الرّهبان، يذْكُر هو بنفسه أنّه جادل أحد الرُّهبان الإسبان أثناء تواجُده بإسبانيا راكبًا قطارًا متوجّها لمدريد. عبد الله كْنون: مفاهيم إسلاميّة، ص: 73.

(4) شؤون إسلاميّة، مرجع سابق، ص: 122.

2. المطلب الأول: الآخر والحوار الديني في جهود وفكر عبد الله كنون

لقد سَبقَتْ الإشارة إلى أنَّ العلّامة كُنون -رحمه الله- كان يسافر إلى العديد من المدن الأوروبيّة وغيرها، هذا السّفر في كثيرٍ من المرّات كان لحضورِ مؤتمرات تهتمّ بحوار الأديان، ومن جملة تلك المؤتمرات التي حَضَرها نذكر ما يلي:

- مؤتمر ممثّلي الأديان في الاتّحاد السّوفياتي سنة: 1969م[1].
- اجتماع قرطبة الأول للتّقارب الإسلاميّ المسيحيّ[2].

إنّ هاته الأسفار تجعلنا نتيقّن من اهتمام شيخنا الأستاذ عبد الله كُنون بقضيّة حوار الأديان، وفي نفس الوقت تبيّن رؤيته في العديد من القضايا التي تتعلّق بحوار الأديان.

أ. موقفه من الحوار بين الأديان:

لقد كان الأستاذ عبد الله كُنون مهتمًّا ومتابِعًا لقضيّة الحوار بين الأديان[3]، ومِن الأمور التي انتقَدَها فيما يرتبط بهذا الحوار، تلك المؤتمرات التي تنعقد من أجله، والتي ليس لها هدف أصلا، أو أنَّ الهدف منها أمرٌ لا نِزاع فيه، أو أنّ بعضَها لا يَظْهَر له أيُّ أثرٍ في الواقع.

إنّ حوار الأديان عند الشيخ كُنون يجب أن يكون له هدف، وهو هدف حقيقيّ يجبُ أن يَظهرَ ويقع نفعُه على كلّ الأديان، فنجده مثلا يُفتي بتحريم تشخيص صورة الأنبياء، ومن بينهم محمّد وعيسى عليهما الصّلاة والسّلام، هذا التّحريم ذَكَره الأستاذ كُنون -رحمه الله- في تثمينه لتعاون شيخ الأزهر مع أسقُفٍ مسيحيّ من أجل الوقوف ضدّ هاته الأمور[4].

ب. موقفه من التّسامح والتّعايش بين الأديان:

كان الشّيخ -رحمه الله- يؤكّد على التّعايش السّلمي بين الأديان، فها هو في إحدى محاوراتِه لأحَد المخالِفين له دينيًّا يشير إلى أنَّ يهود المغرب يتمتّعون بحقوق، وسيكونون على قَدَمٍ وساق مع باقي المواطنين بعد الاستقلال، فالمغاربة لا يَنْطَوُونَ على أيّ شعور بالمَيْز العنصريّ أو التّعصّب الدّيني[5].

(1) عبد الله كُنون، تحرّكات إسلاميّة، ص: 75.

(2) عبد الله كُنون، منطلقات إسلاميّة، ص: 19.

(3) منطلقات إسلاميّة، مرجع سابق، ص: 9.

(4) عبد الله كُنون، مذكّرات غير شخصيّة، بدون، ص: 10.

(5) عبد الله كُنون، معارك، ص: 261.

كما أنّه -رحمه الله- أقرّ بحقّ الآخرين بالدّعوة إلى دينهم، فيقول: «المسلمون عليهم أن يَدعُوا إلى الله وإلى الدّين القويم، كما يَدعوا غيرُهم من المبشّرين إلى النّصرانيّة والشيوعيّين إلى الماركسيّة، لكنْ ليس عليهم أن يُقاتِلوا مَنْ لم يَسْتَجِبْ لدعوتِهم كما يفعَل الشّيوعيّون[1].

وممَّا يؤكّد تسامُحَهُ الدّيني الطّامع في التّعايش السّلميّ، أنّه لم يَذُمَّ ولم ينْتِقص ولم يُشنّع على مَنْ يَرى جوازَ دخول المسيحيّين إلى المساجِد، عِلمًا أنّ شيخَنا كما هو معروف عنه أنَّه على مذهب الإمام مالك، الذي يمنع ذلك[2].

ج. موقفه من حريّة اختياراعتنَاق الأديان

نشير هنا إلى ملاحظة تفطَّن لها الشّيخ عندما تحدّث عن بعض الأنظمة التي تكْفَل حريّة المعتقد للجميع، فيدخل في ذلك حتّى حريّة اعتناق عقيدة الإلحاد، فشنَّع عليها معلِّقًا على ذلك بقوله بأنَّها تستَنِدُ إلى مبْدَأ لاديني، فتصبح الدّولةُ لادينيَّة فكأنّها تروّج وترجّح كفَّة الإلحاد على غَيْره من العَقَائد[3].

إنَّ الأستاذ عبد الله كُنون يُقرُّ بمبدَأ حريَّة الاعتقاد والتّعبّد، لكن بالنّسبَةِ لِلْمِلَلِ المنضوية تحت الحكومة الإسلاميَّة، وهذا المبدَأ لا يجِبُ أنْ يُتَّخذَ ذريعَةً للخروج والدُّخولِ في الإسلام مِنْ طرف المَدْسوسين، كما أنّه يجب الإنكار على استعمال البعض أساليب دعويّة غير سَليمَة [4].

وبخصوص حكم الردَّة وارْتداد المسلم عن دينه خصوصًا، نجد أنَّ العلّامة كُنون -رحمه الله- يقف متشدّدًا في وصف أيّ شخص بالكفر أو الردّة لمجرّد شُبهة، فالأمر خطيرٌ عنده وليس أمرًا سهلا[5]، كما أنّنا نجد في نظرته للردّة وما يتعلّق بها من أحكام أنّه يعتبرها جريمةً سياسيّة وليست دينيّة، حيث أشار إلى ذلك عند تعرّضه لمحاكمة بعض أتباع الدّيانة البهائيّة بمدينة الناظور، فقال رحمة الله عليه: «... متلبّسين باجتماعات سريّة ... من أفكار سياسيّة خطيرة ...، أمّا البهائيّة كنِحْلَةٍ فقد بقيت مسكوتا عنها، ولم يتعرّض لها أحدٌ بسوء، بدليل أنّها ما تزال منتشرة بين كثير من النّاس تُجَّارا وأساتذة وموظَّفين في مختلف مصالح الحكومة والسّفارات الأجنبيّة ...، وما زالت الدّعوة إليها قائمةً على قَدَمٍ وسَاق ...»[6].

(1) الردّ القرآنيّ على كتيب «هل يمكن الاعتقاد بالقرآن؟»، مرجع سابق، ص: 52.

(2) مصدر سابق، ص: 75.

(3) تحرّكات إسلامية، مرجع سابق، ص: 98، 99.

(4) جولات في الفكر الإسلامي، ص: 61.

(5) فتوى للعلّامة محمّد كنون المذكوريّ في كتابه الفتاوي، ولابدّ من أن الأستاذ كُنون طالعها ووافقه عليها لأنّه هو من قدَّم لهذا الكتاب. محمّد كنونيّ المذكوريّ، الفتاوي، ص: 38 وما بعدها.

(6) معارك، مرجع سابق، ص: 264.

3. المطلب الثاني: الآخر والجدال الديني في جهود وفكر عبد الله كنون

تميّز العلّامة عبد الله كُنون بثقافة واسعة في هذا النّوع من الدّراسات الدّينية، وقد تكوّنت عِنْده بمطالعته للعديد من الكتب المهتَمّة بهذا الشَّأن، وقد جعلها مصدرًا لمعارفه حينما تعلّق الأمر بالآخر والجدال معه، وبعد محاولة التقصّي قَدْر الإمكان نقف على بعض تلك الكتب.

أ. عبد الله كُنون: الآخر والجدال الديني (مصادره)

يعتمد العلّامة كُنون على المصادر والمراجع التّالية:

- إظهار الحقّ: رحمة الله الهندي.
- أدلّة اليقين في الردّ على مطاعن المبشّرين: عبد الرّحمن الجزيريّ.
- الفارق بين المخلوق والخالق: عبد الرحمن الباجه جي زاده.
- دائرة المعارف الكتابيّة.
- دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية).
- دائرة معارف القرن العشرين: فريد وجدي.
- على أطلال المذهب الماديّ: فريد وجدي.
- القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: موريس بوكاي.
- الإسلام والنّصرانية مع العلم والمدنيّة: محمّد عبده.
- الإسلام والردّ على منتقديه: محمّد عبده.
- موقف العقل والعلم والعالم من ربّ العالمين وعباده المرسلين: مصطفى صبري
- الكتاب المقدّس: العهد الجديد.

نُلاحظُ على هاته المصادر والمراجع أنّها أولاً مصادر مهمّة ومعتمَدة في تخصّص الجدال الدّيني، كما أنَّ بعضها يعتمد المنهج المقارَن في الدّفاع عن الإسلام أثناء الجِدال مع مُنتقِديه، وثانيًا: بعض تلك المصادِر مَصادرُ ليست بالقَديمة، بلْ هي قريبةٌ من تاريخ حياة الشّيخ عبد الله كُنون.

ب. عبد الله كُنون: الآخر والجدال الدّيني (مؤلّفاته)

لقد ألَّف الشّيخ -رحمه الله- وكَتَبَ في مواضيع شتَّى تتعلّق بالجدال مع الآخر المُخالِف، وبذلك يتأكّد اهتمامُهُ بموضوع علاقةِ المسلمِ مع الآخر كما يصرّح بنفسه هو[1]، فمثلًا ما ارتبط بالمسيحيّة ناقش مواضيع شتّى، منها: صَلْبُ المسيح، شهادة القرآن لصحّة عقائد المسيحيّة، النَّسخ في الشّرائِعِ السّماويّة، تحريف الإنجيل ...

أمّا بالنّسبة للإلحاد فقد كان للشّيخ معه جولاتٌ وصولاتٌ توضّح مَدَى جهوده في الوقوف أمام هذا التّيّار[2]، وكمثالٍ لذلك رغبتُه في إنشاء جمعيّة تُقَاوِم الإلحادَ وأفكارَه[3] .

وعودةً لمؤلَّفات الشّيخ وكتاباته، والتي عموما يُمكِنُ أنْ تُقْسَم إلى أربع مجموعاتٍ، منها مجموعة تهتمّ بالدّراسات الإسلاميّة، وتُعنى بالدّفاع عن عقيدة الإسلام والدّعوة إليه[4]، هاته المجموعة يمكن أن نَقْسِمها إلى: كتاباتٍ خاصّة بموضوع الجِدال الدّينيّ مع الآخر، وكتاباتٍ تتضمّن في أحد أبوابها أو فِقْرَاتها موضوع الجدال الدّينيّ مع الآخر.

فبالنّسبَةِ للقسمِ الأوّل: نجد له كتابان، الأوّل: (فضيحةُ المبشّرين في احتجاجهم بالقرآن المبين)، والثّاني: (الردّ القرآنيّ على كتيّب: هل يمكن الاعتقاد بالقران!)، فالأوّل كان ردًّا على مسيحيٍّ مبشِّر من جنسيّة إنجليزيّة، والثّاني هو ردٌّ على مُلحِد شُيوعِيٍّ من إحدى جمهوريّات الاتحاد السّوفياتيّ سابقا، وبالنّسبة للقسم الثّاني نجد له مؤلَّفات تبيّن اهتمام العلّامة كُنون بقضيّة الحوار الدّينيّ، ونذكُر منها خصوصا: جَوْلاتٌ في الفكر الإسلاميّ، مُنطلقات إسلاميَّة، معارك ...

إنّ الشيخ عبد الله كُنون في كلا القسمين السابقين يستعمل أسلوبا معيّنا في تناوله لقضية الحوار الديني مع الآخر، ومعالم أسلوبه تتضح هكذا:

ج. عبد الله كُنون: الآخر والجدال الديني (أسلوبه)

لقَدْ جَادل الأستاذ عبد الله كُنون أصنافًا كثيرة مِمّن يخالفونه، فهناك المسيحيّ، وهناك الملحِد، وهناك اليهوديّ، وهناك غير هؤلاء، وقدْ كان هذا الحوار إمّا نظريًّا فكريًّا أو عمليًّا واقعيًّا، وبتتبّع هذيْن الأخيرَيْن نقِفُ على العديد من السِّمات التي تميّزت بها طريقتُه في الجِدل، وهي كالتالي:

(1) فمثلا اعتبر الشّيخ استوطان المسلمين أرض النّصارى واتّخادها مكانا للعيش مشكلةً حقيقيّة وأمر بالاهتمام بها. عبد الله كُنون: أزهار بريّة، ص: 152.

(2) جولات في الفكر الإسلاميّ، مرجع سابق، ص: 64 وما بعدها.

(3) مذكّرات غير شخصيّة، مرجع سابق، ص: 73.

(4) عبد الصّمد عشّاب: آثار عبد الله كُنون، مجلّة المجمع العلميّ العربيّ، ج: 3، م: 65، ذو الحجة 1410هـ/ يوليوز 1990م، ص: 441.

أوّلا: المنهاج

يعتمد الأستاذ عبد الله كُنون -رحمة الله عليه- في جداله على ثلاثَة مناهج: المنهج الوصفيّ والذي يبتدِئ به في بعض ردوده، فيصف أوّلا آراء المخالفين ويحدّدها ويستعرِضُ أدلَّتها ذاكرًا شبهاتِهم، وبعده يأتي المنهج التّحليليّ الذي يردُّ به تلك الآراء والشّبهات مُستعمِلا في نفس الوقت المنهج المقارِن، حيث يقارن به كل ما يتميّز به الإسلام عن غيره.

ثانيا: الاستدلال

يعتمد العلامة كُنون على أنواع كثيرة من الأدلة في جداله مع الآخر، فقد استدلّ بما يلي:

- الدّليل النّقلي: النّص المقدّس، سواءٌ كان قرآنا أو كتابًا مقدّسًا[1]، ويمكن أن نضيف عليهما ما يتعلّق بأقوال العلماء من أهل اللّغة[2] والتّفسير والعقيدة وعلم اللّاهوت[3].
- الدّليل العقليّ: ويُقصد به ما كان غير الأوّل.
- الدّليل العلميّ: ويُقصد به ما وصل إليه العلم الحديث من الاكتشافات، ويمثِّل لذلك بقوله: «... على أنَّ مجرد الإشارة لهذا المعنى في الآية الكريمة، هو معجزة علميّة للقرآن بموافقَتِه لآخِر ما يقوله العلم الطّبيعيّ في عوامل تكوين الجبال»[4].

ثالثًا: الأسلوب

يلاحظ في أسلوب العلامة كُنون في ردّه على الآخر الخصائص التّالية:

- **أدبه:**

يُعلِن الأستاذ في إحدى كتاباته بصفته هاته بقوله: «وإنّي لأحترم الرّجل وأقدّره وهو على غير رأيي، وخصمٌ لي في فكري لاعتصامه برأيه وتمسّكه بنَظَره، ولا أحترم المتردّد المتلوّن الذي يكون مع كل أُمَّة بدينٍ ولو وافقني في الرّأي ...»[5].

(1) يقول العلّامة كُنون، «وبهذا النّص من الإنجيل احتجَجْتُ ...»، مفاهيم إسلاميّة، مرجع سابق، ص: 73.

(2) فضيحة المبشرين، مرجع سابق، ص: 14.

(3) يقول العلّامة كُنون: «وقد ظهر أخيرا بحث لثمانيةٍ من كبار علماء اللّاهوت البروتستانت في جامعة أوكسفورد بإنجلترا أنكروا فيه ألوهيّة المسيح وبنوّته لله ...»، منطلقات إسلاميَّة، مرجع سابق، ص: 11. وانظر أيضا رأي المؤلِّف في كتاب: فضيحة المبشّرين، مرجع سابق، ص: 3.

(4) الردّ القرآنيّ، مرجع سابق، ص: 37.

(5) واحة الفكر، ص: 98.

ويُخاطب العلّامة كْنون -رحمه الله- مخالِفه بكلماتٍ إنْ وصفناها في وقتنا نقول أنّها لَبِقَةٌ فيقول مثلا: «حضرته»[1]، ومن أمثلة تلك اللَّباقة التي ذَكَرْتُ: استعماله للكلمة الرّقيقة المؤثّرة لعلّها تترك أثرا في المخالِف، منها قوله: «يخجل العاقل ...»[2].

ونجده أيضا يُحسِن الظنّ بخصمه ولا يتّهمه، بل يبحث له عن الأعذار، فيقول في أحد ردوده على أحد المبشِّرين: «كما يشهد لذلك تحريفه لبعض الآيات النَّاشئ في ظنّنا عن الغَلَطِ، وإن كان غيرنا قد يتّهمه بتعمّد ذلك»[3].

كما يمكن أن نضيف في هذا الجانب القول بأنّ الغالب على تعبيرات وألفاظ شيخنا في الردّ على مخالفيه، سِمَةُ اللُّطف فيها مع عدم اختيار الألفاظ الجارحة القاسية المحقَّرة بتاتًا، لكنّه في بعض المرّات تكون عباراته صارِمةً واضحةً.

- **حرصه:**

من أوجه حرص العلّامة كْنون في جداله مع المخالف عدم تكراره للمعاني والأفكار التي لا تتضمَّن أيَّ جديد، حيث يُعتبَر ذلك إطالةً وإطنابًا[4]، بلْ إنّنا نجده يوضّح لمخالفه كيفيّة طريقة الاستدلال، وما يصلُح منها وما لا يصلح، حتّى تكون مقبولَة ومعقولة، وحتّى لا يوصف بأوصاف قَدحيَّة، وهذا من شدّة حرصه على تعليم الغير حتّى لو كان خصمًا له، ومثال ذلك قوله: «فما كان يَحسُنُ به لأنْ يَدسَّ تلك العبارة هنا»[5].

- **تسامُحه:**

ممّا يلفِت النّظر أنّ العلّامة رغم كونه ذو نزعة سلفيَّة، نجده يعبّر عن معتقدات الآخرين بلفظ الأديان، وهذا أمر يخالفُه فيه ولا يقبله الكثيرون ممّن ينهجون نفس الفكر الإصلاحيّ للعلامة كْنون[6].

ومن تسامح الشّيخ أيضا نجده لا يَردُّ على من يسيء ممّن يخالفونه في الدّين بمثلِ إساءتهم، بلْ في بعض المرّات يُحاول تلطيف الأجواء مستعملا ذكاءَه وحِسّ النُّكتَة المعهود فيه[7].

---

(1) فضيحة المبشِّرين، ص: 18.

(2) مصدر سابق، ص: 24.

(3) فضيحة المبشّرين، ص: 12.

(4) المصدر نفسه، ص: 21.

(5) المصدر نفسه، ص: 19.

(6) يتكرّر هذا الأمر أكثر من مرّة، وهذا يدلّ على أنّ الشّيخ لم يستعمل اللّفظ خطأ بل كان قاصدًا في استعماله. انظر: الردّ القرآنيّ، ص: 103.

- **أمانته:**

من الأمور الجميلة التي يمكن أن نقف فيها على أمانة شيخنا -رحمة الله عليه- هو كيفيّة إحالته على المصادر التي يعتمد عليها في كتاباته، فهو لا يحبّذها بالمرّة إذا تعلَّقت بالأمور والنّصوص المعروفة، كما أنّه يجعلُها خاصَّة في الكلام الخبريّ، على أنّه يفضّل أنْ تُذكر تلك المصادر في قلب الصّفحات وليس في هوامِشها[1].

- **تفكّهه:**

من الأمور التي يتميّز بها القليلون ممّن اهتمُّوا ويهتمّون بالجدال الدّينيّ، والتي اتّصف بها الأستاذ عبد الله كُنون وقليل معه استعمال التّنكيت، تنكِيتٌ في جِدٍّ، يقول علّامتنا مثلًا في أحد ردوده: «فهل تكميل الشّرائع يكون بإيجاد إلهَيْن اثْنيْن أو اكتشافهما اكتشاف كلومبوس للأمريكتيْن ...»[2].

(7) من أمثلة ذلك يهوديّة من مدينة طنجة تخوّف ابنها بمسلم، وتقوّل له بأنّه سيخطفك، هذا المسلم كان من أصدقاء العلّامة كُنون، فقد حكى له تلك الواقعة، ولم يقل الشّيخ -رحمه الله- أي انتقاص او احتقار للدّيانة اليهودية. واحة الفكر، مرجع سابق، ص: 29.

(1) واحة الفكر، ص: 107.

(2) فضيحة المبشِّرين، ص: 24.

أخيراً:

إنّه بعد تقديم هذا الوصف المختصر لأسلوب العلامة كُنون -رحمه الله- لا بدّ للقارئ أن يعتبِره من الشّخصيات المغربيّة الأولى في تاريخ المغرب المعاصر، والتي اهتمّت وبحثَتْ في الحوار الدّينيّ بشكل علمي وممنهج، معتمِدًا على منهجيّة معاصرة جمعت بين أساليب التّفكير المعاصر، وبين المنهج السّلفيّ الذي تبنّاه في جهوده الإصلاحيّة، فيكون بحقّ مدرسةً مغربيّةً يُستفاد منها في واقعنا في كيفيّة الحوار مع الآخر.

المصادر والمراجع

1. عبد الله كُنون، شؤون إسلاميّة، د.ط.
2. عبد الله كُنون، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، الدّار البيضاء، دار الثقافة، د.ط.
3. عبد الله كُنون، جولات في الفكر الإسلاميّ، 1400هـ/ 1980م، تطوان، مطبعة الشويخ، دبسبرس.
4. عبد الله كُنون، الردّ القرآنيّ على كتيّب: «هل يمكن الاعتقاد بالقرآن؟!»، 1401هـ/ 1981م، شركة مكّة للطّباعة والنّشر، د.ط.
5. عبد الله كُنون، واحة الفكر، 1367هـ/ 1948م، تطوان، المكتبة المهديّة.
6. عبد الله كُنون، المقالات الصحافية، سلسلة كتاب الدوحة: 70، قطر، الناشر: وزراة الثقافة والرياضة.
7. عبد الله كُنون، على درب الإسلام، ط: 2، 1403هـ/ 1983م، الدّار البيضاء، دار الثّقافة.
8. عبد الله كُنون، إسلام رائد، 1979 م، بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ، القاهرة، دار الكتاب المصري.
9. عبد الله كُنون، فضيحة المبشّرين في احتاجهم بالقرآن المبين، 1365 هـ/ 1946 م، تطوان المطبعة المهدية.
10. عبد الله كُنون، مفاهيم إسلاميّة، ط: 1405 هـ/ 1984 م، الدّار البيضاء، دار الثقافة.
11. عبد الله كُنون، تحركات إسلاميّة، الدّار البيضاء، دار الطباعة الحديثة، د.ط.
12. عبد الله كُنون، منطلقات إسلاميّة، طنجة، مطبعة سوريا.
13. عبد الله كُنون، مذكرات غير شخصيّة، د.ط.
14. عبد الله كُنون، معارك، تطوان، مطبعة ديسبريس، د.ط .
15. محمد كنوني المذكوري، الفتاوي، الدّار البيضاء، دارالطباعة الحديثة، د.ط.
16. عبد الله كُنون، أزهار بريّة، 1976 م، تطوان، مطبعة دبسبرس.
17. عبد الصّمد عشّاب، آثار عبد الله كُنون، مجلة المجمع العلميّ العربيّ، ج: 3، م: 65، ذو الحجّة 1410هـ/ يوليوز 1990م.